

سوريا تواجه القنبلة السكانية

06 Jun 2010

السوريون يحاولون توزيع التنمية على 20 مليون نسمة مع معدل نمو سكاني هو من بين الأعلى في العالم.

دمشق - من الميسير ليونيقود ابراهيم عيسى سيارته المأجرة وهو يرتدي جلبابا أزرق، وبمرح يقول ان لديه تسعة ابناء من زوجتين وانه يعتزم الزواج بالثالثة قريبا .

وهو يرى أن انجاب الماطفال بيد الله وأنه ليس من حقه التدخل فيه باستخدام وسائل منع الحمل. ومثله مثل جميع سائقي سيارات المأجرة في دمشق يشكو من تكاليف المعيشة ومدى صعوبة تغطية نفقات الحياة بمبلغ 300 دولار هو ما يجنيه شهريا .

يهز عيسى (43 عاما) كتفيه غير مبال عند سؤاله ان كانت مسؤولية اطعام كل هذه الافواه تجعل حياته أصعب ويبتسم قائلا ”كلا. أنا سعيد.“

ويبلغ عدد السكان في سوريا الآن 20 مليون نسمة اما معدل النمو السكاني فيظل واحدا من أعلى المعدلات في العالم وهو 2.4 بالمئة. وتقول الهيئة السورية لشؤون الأسرة انه بدأ يتراجع منذ بلغ 3.2 بالمئة في المتوسط خلال الفترة من عام 1947 الى 1994.

وقال نبيل سكر الاقتصادي السوري الذي كان يعمل سابقا لدى البنك الدولي "لا شك أن لدينا مشكلة سكانية. ويمكن أن تصبح عبئا على تنميتنا ما لم نتعامل معها".

وأضاف أن القوة العاملة تنمو بنسبة نحو 4.5 في المئة في العام بسبب نمو السكان في العقود السابقة بسرعة تفوق قدرة الاقتصاد السوري على توفير فرص عمل لربع مليون شاب ينضمون الى سوق العمل كل عام.

وقال "وجود تعداد سكاني كبير للغاية يعني عبئا ثقيلا على الخدمات الحكومية مثل التعليم والكهرباء والرعاية الصحية. معدل النمو قد ينخفض خلال 20 عاما الى 1.5 في المئة مثل مصر لكننا سنواجه خلال تلك الفترة مشكلة بالفعل".

ويبلغ معدل البطالة الرسمي نحو عشرة في المئة لكن تقديرات مستقلة تشير الى أنه يفوق 25 بالمئة.

ومتوسط عدد الماطفال الذين تنجبهم المرأة السورية 3.6 وان كان الرقم يخفي الفوارق الكبيرة بين المدن والريف.

ومن المتوقع أن تنخفض معدلات المانجاب في دمشق وثلاث محافظات أخرى من ما بين 2 و 2.5 طفل لكل امرأة حاليا الى 1.4 الى 2 بحلول عام 2025.

وفي المحافظات السبع الاقل تنمية بين محافظات سوريا الداربع عشرة يبلغ المعدل ما بين 3.8 و 6.2 طفل. ومن غير المتوقع أن يتراجع المعدل كثيرا في الاعداد الخمسة عشر القادمة.

ويقول خبراء ان التمدن وانتشار التعليم خاصة بين الفتيات من اهم العوامل التي تكبح جماح النمو السكاني على مستوى العالم.

وتعطي الاقلية المسيحية بسوريا مثالا جيدا وغالبية أفرادها من سكان المدن المتعلمين تعليما جيدا.

قال سامر لحام مدير الشؤون المسكونية بطريركية الروم المارثوذكس في العاصمة السورية "كان لجدي ثمانية ابناء ولوالدي أربعة أبناء أما أنا فلدي اثنان فقط."

وتابع "بعد خمسة أعوام ربما يكون لكل أسرة طفل واحد بسبب المشاكل الاقتصادية وتكاليف التعليم ونفقات المعيشة."

ويرى الخبير السكاني اللبناني رياض طيارة أن الدين ليست له صلة بهذه المسألة ويقول "التمنية تأتي بالتعليم وهو عامل حاسم لأنه يزيد تكلفة تربية المابناء. متى يدخل التعليم والتحديث تتراجع معدلات المانجاب."

وتخرج سوريا الان من اقتصاد يعتمد على الادارة المركزية على المطراز الاشتراكي.

وقال طيارة "ما يؤثر على معدلات المانجاب ايضا التفاوت بين دخل الفرد ومستواه الاجتماعي."

وأضاف أن الاتصال بالعالم الخارجي يعطي الناس لمحة عن السيارات أو السلع الأخرى التي لا يستطيعون تحمل تكلفتها إلا أن يكون لديهم عدد أقل من المابناء. وتابع "في سوريا جاء ذلك المعرض ببطء وما زالت معدلات المانجاب عالية لكنها تتراجع."

وتتزايد تطلعات السوريين مع انتشار القنوات الفضائية والهواتف المحمولة والانترنت.

وقال دبلوماسي غربي "ستكون لدى المواطنين الشباب على الدارجج تطلعات اكبر مما لدى اباائهم مع اطلاعهم على وسائل الاعلام الاقليمية والدولية. حتى القرى النائية بها أطباق استقبال البث الفضائي. كما أن كثيرا من السوريين يعملون بالخارج ويعودون".

وربما يؤجل الشباب الزواج في أماكن مثل دمشق الى ما بعد استكمال تعليمهم العالي ثم يمضون سنوات بعدها بلا زواج لانهم لا يستطيعون تحمل نفقاته.

وقال خريج فلسفة يبلغ من العمر 32 عاما انه لا يزال أعزب ويعيش مع والديه لانه لا يستطيع تحمل تكلفة المشقة التي ستطلبها العروس رغم أنه يقود سيارة أجرة لزيادة دخله الذي يجنيه من عمله بمستشفى حكومي.

وأضاف الشاب الغاضب "هناك كثيرون مثلي. هذا يكفي لدفع الناس الى ارتكاب الجريمة".

وفي المناطق الريفية تكون الاسر كبيرة العدد عادة لان تكلفة تربية الابناء منخفضة نسبيا الى أن يبلغوا التاسعة او العاشرة من العمر وهي سن يمكن أن يبدأوا فيها العمل في الحقول او جني أموال من أعمال أخرى.

والى أن تدفع عجلة التحديث المواطنين لتغيير مفاهيمهم من المرجح الما تلقى نصائح تنظيم الاسرة صدى. وقال طيارة "قبل ذلك لا أحد يريدتها وبعد ذلك لا أحد يحتاجها."

وقالت عتاب المتقي من صندوق المامم المتحدة للسكان الذي يتعاون مع الحكومة السورية ان تعليم الفتيات عنصر ضروري في مواجهة التحديات السكانية في سوريا.

وأضافت أن بعض الجهود على مستوى المجتمعات في الشمال الشرقي أسفرت عن نتائج بسيطة لكنها مشجعة.

وقالت "في واحدة من أفقر القرى كانت الفتيات تقول: نريد استكمال تعليمنا لكننا نحتاج الى حافلة لان ابائنا لا يسمحون لنا بالذهاب الى المدرسة بمفردنا. المسألة كانت في غاية السهولة.. مجرد توفير وسيلة لنقلهن."

ميدل ايست اونلاين